المصدر: الانباء
التاريخ : ١٩٩٤/٣/٣٠

في منزل الرئيس السادات

أسرار نجوم مصر

مراسلة شبكة ABC قابلت السادات وهو يشاهد رقصة لنجوى فؤاد
لماذا تراجعت فيفي عبده، وتقدمت نجوى فؤاد للقب الراقصة الأولى؟

في منزل الرئيس السادات دار الكثير من اللقاءات والأحاديث والأسرار .. بعضها نشرته الصحف .. واذاعته أجهزة الإعلام .. وبعضها ظل مختفيا وراء ستائر الخوف.. لأن أصحابها خافوا من غضب الرئيس الذي لم يأذن بالكشف عنها.

في منزل الرئيس .. وبالتحديد في حديقة المنزل سمع بعض الوزراء من السادات عن حكاية «معروف الحضري» لأول مرة .. ودون مناسبة حكى لهم عن قصة لقب «الرئيس المؤمن» و«سيدة مصر الأولى»! وقبل أن ينتهي المجلس ضحك الرئيس من أعماقه ثم شد نفساً عميقاً من «البايب» الشهير، وقال لمن حوله : «.. طبعاً سمعتم عن حكاية فيفي عبده.. لقد غضبت جيهان منها وكان معها حق»!

حديقة منزل الرئيس ممتعة ومثيرة.

النيل على مسافة أمتار قليلة.. الأشجار حانية.. والأرض بساط

أخضر مريح للنظر.. «مرجيحة» صغيرة في إحدى جنبات الحديقة يسترخي فوقها الرئيس بعض الوقت.. ربما اتخذ فوقها الكثير من القرارات المهمة.. أو أوحت إليه بأفكار ساهمت في صنع التاريخ المصري.. السماء فوق الحديقة لوحة صافية تجمع بين زرقة البحر ولمعان النجوم في عز النهار.

الجلسة التي جمعت بين الرئيس والوزراء لم تكن محددة سلفاً.

لقد أنهى الرئيس عدة لقاءات مع الكثير من الشخصيات العامة وكبار المسؤولين.. لكنه استوقف أربعة وزراء وصحفياً كبيراً.. ثم صارحهم برغبته في قضاء بعض الوقت بعيداً عن المكتب وأجهزة التكييف والرسميات القاتلة.. دعاهم إلى الحديقة.. وما أسعد الذين يدعوهم الرئيس إلى حديقته حيث يتحدث بتلقائية نادرة.. وصراحة مطلقة.. وتنساب من لسانه الكلمات أوضح مما تنساب من لسان العمدة في حديثه إلى أعيان القرية وشيخ الخفراء! والوزراء وكبار المسؤولين في مثل هذه الجلسات يظهرون كالتلاميذ في حضرة الرئيس.. لا يضحكون إلا إذا ضحك.. ولا يتكلمون إلا إذا طلب.. ولا يتململون إلا إذا انصرف(!).. إذا تحدث اصغوا.. وإذا تجهم وجهه كشرت ملامحهم.. وإذا وقف وقفوا!

سألهم السادات :

ـ من منكم يعرف «معروف الحضري»؟!

صمت الوزراء وكان الطير فوق رؤوسهم.. بعضهم هرش جبهته في خجل.. وبعضهم تظاهر بأنه يعرف هذا الاسم لكنه لا يتذكر شيئاً عنه!.. والبعض الثالث احمر وجهه وفضحته ملامحه.. لقد ساد الصمت فجاة بينما ضحك الرئيس لا يصدق أن أحداً من وزرائه لا يعلم شيئاً عن هذا البطل الذي كان يمكن أن يكون زعيماً لمصر كلها.

أراد السادات ألا يريح وزراءه بسرعة.. وأن يشعرهم بخجل يندمون عليه.. قال لهم الرئيس:

ـ «هذا الرجل أنقذ عبدالناصر من الموت جوعاً!.. وضحى برتبته العسكرية لينقذ الكرامة العربية من العبث الصهيوني.. هذا الرجل صنع تاريخاً لم يسبقه إليه ضابط مصري آخر غير سبعة أو ثمانية ضباط في الجيش المصري.. هذا الرجل لم يكن من هواة السلطة.. ولم تلعب الشهرة بعقله أو عواطفه.. ولم يسع إلى نفوذ أو سلطان أو منصب براق! وفي النهاية خذله عبدالناصر وعبدالحكيم عامر ومراكز القوى.. أضاعوه ومسحوا بكرامته الأرض وسجنوه ظلماً.. وعندما توليت حكم مصر قررت أن أرد له اعتباره.. لكن «معروف الحضري» خذلني!

جذبت مقدمة الرئيس عن «معروف الحضري» انتباه الوزراء.. شدت فضولهم.. وأثارت دهشتهم، حتى أن أحد الوزراء الموجودين سأل الرئيس في لهفة :

ـ سيدي الرئيس .. هل تسمح لنا بمزيد من التفاصيل عن هذا الرجل؟!

أشعل الرئيس «البايب» مرة أخرى.. وانطلقت نظراته تجوب الفضاء الواسع كأنه يجتر ذكرياته من مشاهد يعبر بها الزمن فوق رؤوس الأشهاد!.. ويستطرد السادات قائلاً:

ـ «معروف الحضري كان ضابطاً جسوراً.. وكان عضواً بارزاً في مجلس قيادة ثورة يوليو.. وكان كفاءة عسكرية نضرب بها الأمثال.. كان كل ضباط الجيش يعرفونه بالاسم والشكل.. لم يطق هذا الضابط

«الفلتة» أن يصل الغرور الصهيوني إلى حد التحدي والصلف والغطرسة.. فعندما استباح الإسرائيليون قتل النساء والأطفال والشيوخ عام ١٩٤٨ لم تحتمل أعصابه.. حتى أنه حضر إلى ثكنته ذات صباح وعيناه متورمتان من كثرة البكاء عندما حكوا له كيف يقوم الإسرائيليون بشق بطون النساء الحوامل وإخراج أحشائهن وهن أحياء! انضم وقتها إلى صديقه الضابط أحمد عبدالعزيز والضابط كمال الدين حسين عضوي مجلس قيادة الثورة.. وأصروا على الذهاب إلى فلسطين ليحاربوا دفاعاً عن شعبها وشرفها.. لكن رؤساءهم رفضوا الموافقة إلا إذا تركوا الخدمة العسكرية حتى لا يكون قتالهم يحمل معنى إعلان الحرب رسمياً على إسرائيل.. فما كان من معروف الحضري وأصدقائه إلا أن قدموا استقالاتهم فوراً من الخدمة العسكرية.. لينضموا إلى صفوف الفدائيين في حماس حسدهم عليه باقي ضباط وجنود الجيش المصري كله.

قبل أن يستطرد الرئيس السادات في حديثه .. وأثناء احتسائه كوباً من الماء.. لمح الصحفي الكبير موسى صبري يبتسم وتتحرك نظارته أسفل عينيه.. ساله على الفور:

- هل تذكرته يا موسى؟

- نعم .. تذكرته ياريس!

- وهنا ضحك الرئيس السادات مشيراً بيده إلى موسى صبري قائلاً:

- خلاص يا موسى ابقى كمل حكايته للجماعة.. انا أصلي عاوز أتكلم معاكم في حاجة تكونوا مش عارفينها!

ضحكوا جميعاً.. وهنا صاح أحد الوزراء مداعباً الرئيس:

- إذن .. لتحدثنا عن حكاية الألقاب التي بدأت بها حديثك ياريس؟

كان باقي الحاضرين يتمنون أن يحكي الرئيس أولاً باقي حكاية معروف الحضري.. لكنهم سرعان ما اندمجوا مع حديث الرئيس السادات الذي بداه قائلاً:

- «.. ربما لا يصدق كثيرون انني فوجئت بلقب «الرئيس المؤمن» مثل أي مواطن في مصر!.. لقد أطلقت إحدى الصحف هذا اللقب وقلدتها باقي الصحف بسرعة مذهلة.. ومنذ فترة زارني أحد أصدقائي المقربين.. وقال لي ياريس نحن دولة مسلمة.. والمسلم مؤمن بطبيعته.. ووصفك بالرئيس المؤمن تزيد غير محمود.. لقد ظل صديقي هذا يؤنبني وينتقد هذا اللقب بشكل استفزني لدرجة أني صحت فيه قائلاً:

- اسمع يا سيدي اتصل بوسائل الإعلام وقلهم يكتبوا الرئيس الكافر! بعدها صمت صديقي وغير الموضوع تماماً!

وضجت الحديقة بضحكات الرئيس والوزراء معاً!

وبعد لحظات من وصلة «الضحك» عادت الجدية ترتسم على ملامح السادات وهو يكمل حديثه قائلاً:

.. نفس الأمر حدث مع الهانم.. فوجئت بأن الصحف أطلقت عليها لقب سيدة مصر الأولى.. وكنت أنوي الاتصال بوزير الإعلام ليمنع نشر هذا اللقب الذي لم يستسغه الشعب.. لكني شعرت أن جيهان «مبسوطة» من هذا اللقب بشكل جعلني أتراجع حتى لا تسيء فهم موقفي.. ثم زارني بعد ذلك بشهور صلاح الشاهد كبير أمناء الرياسة وفوجئت به يحدثني قائلاً بأن الناس يستغربون لقب سيدة مصر الأولى.. ويتساءلون عمن منحها هذا الحق؟ ولماذا؟ وما معناه؟ وقال لي

صلاح الشاهد.. وصلاح صديقي من زمان.. قال يا ريس اللقب ده لم تحظ به أي امرأة في العالم سوى حرم الرئيس الأميركي الأسبق «روزفلت».. فبعد أن فاز زوجها بمقعد الرئاسة للمرة الرابعة على التوالي.. وهو ما لم يحدث في أميركا من قبل وربما لن يحدث مرة أخرى.. أراد الشعب أن يكرم حرم رئيسه.. «مدام روزفلت» فأطلق عليها لقب «سيدة أميركا الأولى».

وقال :لي صلاح الشاهد إن زوجات الرؤساء الذين حكموا أميركا بعد «روزفلت» لم تحظين بهذا اللقب، حتى تبقى مدام روزفلت هي المرأة الأميركية الوحيدة التي نالت شرف اللقب تكريماً لها دون أن تنازعه حرم رئيس أميركي آخر.. وأكد لي صلاح الشاهد أننا سوف نبدو في نظر العالم وكأننا نستورد حتى الألقاب!

يصمت الرئيس برهة .. ثم يستطرد قائلاً للوزراء:

ـ .. الحقيقة يا جماعة كلام صلاح الشاهد أقنعني.. لكني قلت له إن الذين أطلقوا هذا اللقب على جيهان هم المسؤولون عنه!

نظر الجميع نحو موسى صبري وضحكوا.. وقهقه السادات من أعماقه!

كان السادات في قمة معنوياته وهو يتحدث مع وزرائه المقربين وكأنه لا يريد أن ينتهي.. كان يبدو متحمساً للحديث حتى الصباح.. كانت أكواب البرتقال وكؤوس الماء المثلج لا تكاد تفرغ حتى تمتلىء المائدة المتحركة بغيرها.. بينما سحابة كثيفة من دخان السجائر تتصاعد أعلى المجلس تتابعها عينا السادات رغم اندماجه في حديثه المفتوح.. عاد يلتقط طرف الحديث مرة أخرى.. ويقول والابتسامة لا تبرح وجهه:

ـ .. أعرف أن بعضكم يتصور أنني أنا الذي أمرت بوقف برنامج تلفزيوني ظهرت فيه الراقصة فيفي عبده.. وقالت إنها «بلديات» الرئيس المؤمن.. لم أشاهد هذا البرنامج أو تلك الحلقة. لكني علمت أن جيهان غضبت بشدة.. وأنها هي التي أوقفت البرنامج! وبرضه موسى صبري عارف التفاصيل كويس!

وعندما انتهت جلسة الرئيس والوزراء كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية صباحاً.. الجو حار خانق في القاهرة.. والوزراء أمام سياراتهم التفوا حول موسى صبري يسألونه عن معروف الحضري وفيفي عبده.. كانت مصادفة غير مقصودة جمعت بين بطل من أبطال مصر العظام.. وراقصة من راقصاتها الحسناوات.. وشتان الفارق!

الحكايتان رواهما اثنان من الصحفيين بعد سنوات.. كل منهما يمثل جيلاً من أجيال الصحافة.. الأول هو الكاتب الصحفي الكبير حلمي سلام.. والثاني هو النجم الصحفي الشاب عادل حمودة.. قال حلمي سلام عن «معروف الحضري»:

ـ .. سافر معروف الحضري وزملاؤه إلى فلسطين.. مضى الرجال إلى هدفهم .. في رؤوسهم إصرار .. وفي قلوبهم إيمان يهد الجبال.. وبدأ الناس في كل مكان يستمعون بما راح «الكوماندوز المصريون» بقيادة أحمد عبدالعزيز يفعلونه.. صارت أعمالهم وضرباتهم التي أخذوا يوجهونها إلى الصهاينة في عقر دارهم.. في كل مسمع وعلى كل لسان.. وإن هي إلا أسابيع قليلة حتى كانت القوات العربية النظامية قد دخلت إلى أرض

فلسطين فعاد الفدائيون الأبطال إلى صفوفها.. واستردوا رتبهم العسكرية.. وأصبحوا طليعتها في كل عمل عسكري خطير يكون مطلوباً فيها ما هو أكبر من الشجاعة وأقرب إلى الانتحار

وعن أول لقاء بمعروف الحضري يقول حلمي سلام:

ـ ذات يوم من أيام شهر يوليو عام ١٩٤٨ همس في أذني هامس بأن أول قطار يحمل جرحى الميدان من ضباط وجنود، سوف يصل إلى محطة الحلمية في الساعة الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم.. حيث ينتقلون منه إلى مستشفى الحلمية العسكري.. وفي ذلك الموعد كنت وزميلي المصور في انتظار هؤلاء الأبطال في قلب المستشفى.. التقطنا لهم أول صور نشرت لهم في صحافة العالم العربي.. وأجريت مع نخبة منهم أول حوار صحفي حول الموقعة.. وكذلك الظروف التي أصيب فيها كل منهم.. وبينما أنا في الحديث مع واحد منهم ـ الرائد طيار فوزي دسوقي ـ إذا به يقول لي :

ـ «إذا لم تنجح في أن تجعل معروف الحضري (وأشار إليه حيث يرقد) يروي لك قصته.. وقصة المعركة التي أصيب فيها فلن تكون قد فعلت شيئاً».

أشعلت كلمات الرائد طيار فوزي دسوقي فضولي الصحفي.. فتوجهت إلى معروف الحضري.. كان ملفوف الرأس بالأربطة الطبية .. فلم يظهر منه غير فمه وعينيه.. وكان يبدو متعباً إلى حد بعيد.. ولكن الصحفي لا يملك حق التماس الأعذار للآخرين فيجعلهم يفلتون من يده.. فالعمل الصحفي فرصة.. إذا ضاعت فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل أن تعود.

وفي البداية.. وبإصرار مهذب رفض معروف الحضري أن يتكلم .. رفض أن يقول أي شيء.. كان يرى أنه لم يفعل شيئاً يتجاوز حدود الواجب الذي لا يجب التباهي بادائه.. لكنني فيما بيني وبين نفسي كنت قد صممت على أن أجعله ينطق.. يتكلم.. يحكي لي ما قال عنه زميله الطيار فوزي دسوقي إنني إذا لم أسجله فلن أكون قد فعلت شيئاً.

وبعد جدل طويل من جانبه.. وجدل أطول من جانبي.. نجحت في أن أجعل معروف الحضري يتكلم.. يحكي لي قصته التي كانت وبحق واحدة من أروع قصص البطولة والفداء.

ونشرت قصة معروف الحضري في مجلة المصور عام ١٩٤٨، مستقلة عن قصص زملائه الذين عادوا معه على نفس الطائرة.. من نفس المعركة.. إذ كانت قصة متميزة بلونها.. وطعمها.. وجنونها!

ثم صرنا بعد ذلك صديقين.. ورحت أتردد على المستشفى العسكري بين يوم وآخر لزيارته كصديق.. وليس كصحفي.. ولم أكن أدري أن علاقتي بمعروف الحضري إنما هي مقدمة علاقتي بثورة ٢٣ يوليو كلها.. بحلوها ومرها.. لكنها المقادير.. تنسج لنا دون أن ندري خيوطاً لا نستطيع العمر كله الفكاك منها!

وحينما كان معروف الحضري لا يزال تحت العلاج من إصابته البالغة. أعلنت اتفاقية الهدنة الأولى بين الفريقين المتحاربين على أرض فلسطين.. وكان من بين بنود هذه الاتفاقية أن يغلق ميدان القتال على من هم موجودون فيه ساعة توقيعها.. فلا أحد يخرج منه.. ولا أحد يأتي إليه.. وجن جنون معروف الحضري عندما علم بهذا البند من بنود الاتفاقية.. إذ

كان يستعجل الساعات قبل الأيام.. والدقائق قبل الساعات لكي ينتهي علاجه ويعود إلى ميدان القتال فيسترد فيه موقعه.. موقع البطل الذي صارت شجاعته أسطورة بين المقاتلين.

وغادر معروف الحضري المستشفى ليبقى في بيته يوماً واحداً.. وعندما سألت عنه في اليوم التالي جاءني الجواب انه سافر إلى الإسكندرية للاستجمام.. لكن غيبته في الإسكندرية طالت كثيراً.. ثم كانت المفاجاة الكبرى لي ولأسرته عندما وصلنا منه خطابان في وقت واحد.. وكان الخطابان من ميدان القتال! وليس من الإسكندرية كما زعم انه مسافر إليها ليستجم بضعة أيام!

وكانما كان معروف الحضري يشعر بان القتال لابد من ان يستانف مرة اخرى بين الفريقين المتقاتلين.. ومن هنا رأى أن مكانه الطبيعي هناك في ميدان القتال. فإن هي إلا أيام معدودة من تسلله إلى الميدان حتى عاد القتال واستؤنف بين العرب والصهاينة.

وفي الجولة الثانية من تلك الحرب وقعت القوة الثانية التي كانت تقاتل في «الفالوجا»، والتي كان جمال عبدالناصر واحداً من ألمع ضباطها تحت الحصار.. وامتنع عن هذه القوة الماء والدواء والغذاء. وصار الهم الأول والأكبر للقائد العام للقوات المصرية اللواء أحمد فؤاد صادق أن يتيح لهذه القوة المحاصرة اكبر فرصة للمقاومة والصمود.. إلى أن تستطيع أن تكسر الحصار المضروب حولها فلا تسلم.. ولا تستسلم.. ولا تكون بتسليمها أو استسلامها سبباً في انهيار معنويات بقية المقاتلين في كل موقع.. وعلى كل خط من خطوط القتال.

ولكن كيف؟ كيف تستطيع هذه القوة أن تصمد فلا تسلم أو تستسلم وقد امتنع عنها الماء والغذاء والدواء؟

إذن .. لابد من مقدمات الصمود أن تصل إلى مقاتلي «الفالوجا» بكل وسيلة وأي وسيلة.. بالفن العسكري.. بالعقل.. بالحيلة.. بالجنون.. المهم أن تصل.. واستقر رأي القائد العام على تشكيل «قافلة» من الفدائيين يرتدي أفرادها ملابس «البدو» ويقودها فدائي قادر على الا ينظر خلفه. ولا يحسب حساباً لعمره.. ويمضي إلى قلب النار وكانه ماض إلى نزهة!

لم يجهد القائد العام نفسه كثيراً في البحث عن هذا الفدائي.. إذ كان يعرف معروف الحضري.. وكانت له معه من قبل تجارب صرفته تماماً عن التفكير في أحد غيره.

تهيأ معروف لملاقاة الموت.. خلع زيه العسكري وارتدى زي البدو وانطلق إلى «الفالوجا» على رأس القافلة المحملة بالماء والغذاء والدواء.. وراح يمارس مع الحضري لعبته المفضلة. راح يحاوره. ويداوره. ويتغلب عليه. حتى وصل في النهاية إلى زملائه المحاصرين في «الفالوجا» حاملاً إليهم أولى شحنات الثبات.

قال لي اللواء أحمد فؤاد صادق وهو يروي قصة أول قافلة قادها معروف الحضري إلى «الفالوجا» إنه ظل طوال الليل متيقظاً لا يغمض له جفن.. إلى أن دق جهاز اللاسلكي في غرفته حاملاً إليه نبأ وصول معروف الحضري وقافلته سالمين.. وكانت هذه أول مرة وربما آخر مرة بكى فيها القائد العام.. بكى من الفرحة.

ولأن النجاح يجر النجاح.. تكررت

العملية مرة ومرات حتى كانت إحدى المرات التي جاور فيها معروف الحضري الخطر.. لكنه لم يستطع التغلب عليه.. وقع في كمين صهيوني.. وكانت معركة بينه وبين أفراد هذا الكمين.. ظل يطلق فيه الرصاص حتى نفدت آخر رصاصة كانت في جعبته.. وعندئذ دخل معهم في معركة بالسلاح الأبيض.. لكنهم كانوا كثرة فغلبت كثرتهم شجاعته.. وأخذوه إلى تل أبيب «أسيراً».

ويستطرد الأستاذ حلمي سلام قائلاً:

- بقي معروف الحضري أسيراً في «تل أبيب» عدة شهور.. توقف بعدها القتال.. وبدأت عملية تبادل الأسرى.. فعاد معروف إلى مصر .. بعد أن كان قد منح أرفع وسام عسكري مع ترقيته استثنائياً إلى الرتبة الأعلى تقديراً لبطولات لم يقدر عليها كثيرون غيره.. بل لعلها - وهذا حق - لم يكن ليقدر عليها أحد سواه.

ثم دارت الأيام

دارت الأيام واحدة من دوراتها الغريبة التي تأتي معها بما ليس في الحسبان.. قامت ثورة ٢٣ يوليو.. وما لبث صانعها أن غرق حتى أذنيه في مشكلات الحكم.. وأيضاً في مشكلات الثورة.. وبدا بعض الذين كانوا يحكمون إلى جواره ينتهزون فرصة انشغال عبدالناصر وهمومه ليحكموا من ورائه.. وكان كل ما يهمهم أن يتصيدوا كل ذي تاريخ .. وكل ذي موقف.. وكل ذي بطولة. ليجرحوه ويشوهوه لكي يخلوا لهم وجه عبدالناصر.

وفي سنة ١٩٥٤ جاء الدور على معروف الحضري.. اقتنصوه اقتناصاً.. نسبوا إليه وما كان أسهل ذلك عليهم أنه يدبر لقلب نظام الحكم.

وصدق عبدالناصر التهمة. صدقها لأنه يعلم معروف الحضري.. وشجاعته .. وجرأته.. وعدم تردده في الإقدام على فعل أي شيء.. وكل شيء.. متى آمن بأنه صواب!

ووضعوا معروف في الاعتقال.. رهن البراءة أو السجن!

ولم يحتمل الرجل .. أصابه مرض كاد أن يفتك به.. وعلى الفور نقلوه من المعتقل إلى المستشفى العسكري العام للعلاج.. وذات مساء دق التليفون في منزلي.. كان المتكلم معروف الحضري.. قال لي إنه يتكلم من المستشفى.. ويريدني أن ألقاه هناك في أمر لا يحتمل التأجيل.

أوقعتني المكالمة في حرج بالغ مع نفسي.. فلست أستطيع أن أتخلى عن تلبية ندائه.. لكنني لو ذهبت إليه فمن الممكن وسهل جداً أن أصبح في غمضة عين شريكاً له فيما هو منسوب إليه.. فماذا أصنع إذن؟

قررت أن ألقاه.. ولكن بعد أن استأذن عبدالناصر حتى يكون على علم مسبق بهذا اللقاء، درءا لأية تهمة يمكن أن تلاحقني نتيجة لذهابي إلى معروف بغير علمه.. لكنني يومها لم أتمكن من لقاء عبدالناصر، فتوجهت إلى عبدالحكيم عامر، وكان وقتها يشغل منصب القائد العام للقوات المسلحة.. رويت له قصة المكالمة بيني وبين معروف الحضري.. وقلت إنه حريص على تلبية ندائه.. لكنني حريص أيضاً على أن يتم هذا بعلمكم. فقال لي وهذه شهادة لله.. وللحق.. «أنت أدرى الناس يا حلمي بمدى إعزازنا لمعروف.. وأنا أقول لك وبلسان «جمال» إنه يهمنا أن تلقاه..

وإذا كانت له أية طلبات فإنه يسعدني أن تعود إلي بها.. فلعلي أستطيع أن أجيبها له».

وذهبت إلى معروف!

وقال لي معروف إن التهمة التي نسبها إليه «القناصون» لم تثبت ضده، لكنه علم أيضاً أنه سوف يستبعد من صفوف الجيش.. وأضاف قائلاً لي: «إن العسكرية عندي ليست حرفة.. وإنما هي شرف.. فأنا ضابط. وأخي ضابط وأبي كان ضابطاً.. وجدي أيضاً كان ضابطاً واستشهد في حروب السودان.. وأنا مستعد إذا كان الإخوة في مجلس قيادة الثورة خائفين مني أن أغادر مصر إلى آخر بلاد الدنيا.. أنا مستعد لأن أعمل ملحقاً عسكرياً في الصين.. أو حتى في منغوليا.. فقط أنا لا أريد أن أخلع عن نفسي هذا الشرف (وهنا أمسك معروف ببدلته العسكرية).. لقد طلبتك لكي أحملك أمانة نقل هذه الرغبة مني إلى عبدالناصر وزملائه.. فقد سمعت كلاماً بأنه قد يفرج عني غداً.. أو بعد غد.. لكنني أخشى أن يتخذوا قرار الاستغناء عن خدماتي في الجيش قبل الإفراج عني(!)»..

وقد قررت أن أذهب فور خروجي من هنا إلى «جمال» في بيته.. ولو ضربوني على باب بيته بالمدافع!.

ويمضي الأستاذ حلمي سلام قائلاً:

- تركت «معروف» عائداً إلى عبدالحكيم عامر.. ونقلت إليه بالحرف الواحد كل ما حملني معروف من أمانة لنقله.. فارتسم الأسى على وجه عبدالحكيم عامر وأخذ ينقر بأصابعه على زجاج مكتبه، قبل أن يقول:

«للأسف سبق السيف العزل.. فبالأمس فقط وقع جمال على قرار الاستغناء عن خدماته».

بعد ذلك بأيام قليلة قابلت عبدالناصر.. فرأيت من باب الاحتياط أن أروي له قصة لقائي مع معروف الحضري بحذافيرها خشية أن يكون عبدالحكيم عامر لأي سبب من الأسباب لم يروها له.. وقلت لعبدالناصر بين ما قلت إن «معروف» قال لي إنه سيذهب إلى بيت عبدالناصر فور الإفراج عنه ولو ضربوه بالمدافع على باب بيتك!

ضحك عبدالناصر وقال:

«.. وفعلاً جاني هو ده معروف الحضري.. يعمل أي حاجة في الدنيا مادام مقتنعاً بها.. ولعلي نجحت في أن أرضيه.. لقد كان صعباً على نفسي جداً - أنا بالذات - أن أخرجه من الجيش.. ولكن كان صعباً أكثر أن أتركه يبقى فيه!».

ورضي معروف الحضري بقدره.. كان صعباً أن يرضى. لكنه رضي فمن الذي يستطيع أن يتحكم في قدره حسبما يهوى ويحب.. نابليون نفسه الذي لقبوه برجل الأقدار، كما أطلقه عليه المؤرخ الألماني العظيم «إميل لودفيج»، لأنه استطاع أن يتحكم في أقداره حتى خذلته يوماً.. وهزمته وحولته من إمبراطور مخيف يلقي اسمه بالرعب في قلوب الدنيا بأسرها إلى مجرد أسير كسير!

رضي معروف بقدره.. ومضى في ركب الحياة، فاختار لنفسه صناعة جديدة.. صناعة تحتاج إلى صبر الرجال.. اشترى قطعة أرض رملية بالقرب من مدينة الإسماعيلية ومضى بالعزم والصبر يجهزها لتفيض بالخير.

لكن القناصين أبوا أن يتركوه لأرضه.. وكأنما جرح كبرياءهم أنه أفلت مرة من شباكهم.. فعاودوا معه الكرة عام ١٩٦٥.. وفي هذا الوقت بالذات.. كان هؤلاء القناصون قد صاروا أقوى.. بينما كان عبدالناصر

قد صار أضعف بعد أن أطلق ثقته فيهم.. جاء القناصون بمعروف الحضري مرة ثانية.. وكانت تهمة معروف هذه المرة ليست قلب نظام الحكم.. وإنما السعي لاغتيال جمال عبدالناصر!

كانت الطبخة متقنة جداً.. وكان طبيعياً أن تكون كذلك مابين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٥، كانت هناك إحدى عشرة سنة إضافية من الخبرة بفنون التلفيق والتلطيخ واتهام الناس بما لم تنطق به ألسنتهم، ولا ارتكبته أيديهم.

ثم كانت قمة التجني عندما قدموا معروف الحضري للمحاكمة أمام محكمة استثنائية برئاسة «الدجوي»

القاضي إياه الذي كان ينطق بالأحكام المملاة عليه!

وصدر الحكم على بطل «الفالوجا» الحقيقي بالأشغال الشاقة ١٥ سنة!.

لكن دولة المخابرات بسرعان ما سقطت في أعقاب هزيمة ١٩٦٧.. ومع مولد مصر الجديدة، تم الإفراج عن معروف الحضري ليعود إلى أرضه يشرف على زراعتها.

لكن ما الذي جعل السادات لا يتمكن من رد اعتبار معروف الحضري بعد أن أصبح السادات رئيساً لمصر؟! نفس السؤال طرحه موسى صبري على الرئيس السادات بعد أيام من جلسته مع الوزراء بحديقة منزله.. وقال السادات لموسى صبري:

.. خذلني معروف الحضري.. سبقني بالموت.. وأنا أفكر في أسلوب تكريمه ورد اعتباره.. وكأنه رفض منا الاعتذار!

أما حكاية فيفي عبده، وكيف خطفت منها نجوى فؤاد الأضواء والحفلات التي يحضرها السادات أو كسينجر فيرويها الزميل عادل حمودة نائب رئيس تحرير روز اليوسف.. وهو يتحدث عن الميول الاستعراضية للرئيس السادات وعشقه للأضواء من خلال عرضه لكتاب «ضفادع وعقارب» لمراسلة التليفزيون الأميركي «دورين كايز» والذي نشرته فور اغتيال السادات.

يقول عادل حمودة :

ـ لقد استيقظت دورين كايز من نوم القيلولة في بيتها بالقاهرة على جرس تليفون متصل الرنين من مدير الشبكة في نيويورك.. وكانت المكالمة سريعة وحاسمة:

دورين .. مساء الخير.. عليك الآن البحث عن السادات وإقناعه بالتحدث على الهواء.

ـ ولكنه لا يعرفني.

ـ إنه يعرف التليفزيون الأميركي ولن يقاوم.

لكنني لا أعرف مكانه.

ـ ابحثي عنه في أي مكان.

وإذا رفض التحدث إلينا؟!

ـ إنك لا تعرفينه.. إنه لن يرفض!

وما الذي عليه أن يقول بالضبط؟

ـ ادفعيه إلى التحدث عن حبه للسلام.. ورغبته في مواصلة التفاوض مع الإسرائيليين.

وقامت «دورين كايز» على عجل.. ووضعت نفسها في بنطلون «جينز» و«تي شرت» من القطن الملون المطبوع.. وأخذت المصور والكاميرا وراحت تبحث عن السادات حتى عثرت عليه في فيللا في الهرم يملكها أحد أصدقائه من الأثرياء الذي كان يحتفل بزفاف أحد أبنائه . على البوابة حاول منعها من الدخول لأنها لا تحمل بطاقة دعوة.. فقالت لقائد الحرس في ثقة لا تخلو من الغرور:

ـ اذهب إلى الرئيس السادات وقل له دورين كايز مراسلة شبكة ABC الأميركية تريدك الآن في أمر عاجل لا

يحتمل التاجيل.

قال قائد الحرس :

لا أتصور أنه سيقبل. إنها مناسبة خاصة ياسيدتي.

وردت كايز :

ـ اذهب إليه بالرسالة وسانتظر الجواب.

ولم يغب الضابط اكثر من خمس دقائق. عاد بعدها ليدعو المراسلة الشابة للدخول وقد سيطرت علي وجهه أسراب من طيور الدهشة.. وحسب وصفها كان رجال الدولة ومعهم السادات يتابعون هز وسط الراقصة الشهيرة نجوى فؤاد.. إنها الراقصة نفسها التي رقصت لهنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركي اثناء مفاوضات فض الاشتباك عام ١٩٧٤.. ويبدو أنها اثارته فانفعل بها للغاية.. ودعاها إلي بيته في واشنطن.. وقيل إنها في لحظة ما عرض عليها الزواج! كان السادات يتامل نجوى فؤاد وهي تتلوى وتبتسم معاً.. كان يبدو مستمتعاً بما يراه فملامحه مسترضية.. والبايب لايفارق شفتيه.. وراسه لا يكف عن الاهتزاز الخفيف.. واصابعه تنقر على مسند المقعد .. إن نجوى فؤاد اصبحت الراقصة الرسمية.. او الراقصة المفضلة في الحفلات التي يحضرها السادات بعد أن سقطت فيفي عبده من فوق عرش الاهتمام.. فقد اخطات عندما قالت في برنامج النادي الدولي بالتليفزيون إن قرية ميت أبو الكوم لا تنجب إلا العباقرة.. فقد انجبتها هي والرئيس السادات.. وغضبت جيهان السادات وأمرت بإلغاء البرنامج الذي كان يقدمه سمير صبري.

محمد رجب